

رسالة غبطة البطريرك الكاردينال مار نصر الله بطرس صفير

بمناسبة عيد الفصح المجيد لسنة ٢٠٠١

"لقد قام وليس هو هنا" (١٦:٦ مر)

عيد القيامة عندنا هو عيد الاعياد. واذا كان المسيح قد قام من بين الاموات، فسنقوم نحن معه قيامة مجيدة، على ما يقول بولس الرسول: "والله اقام ربنا، وهو سيقمنا بقوته نحن ايضا". انه عيد الحياة التي لا يعرو شمسها غروب، اعني الحياة التي يعيشها المؤمن مع الله مدى الابدية.

لقد ساد الاعتقاد، ردحا من الزمن، بتأثير من الفلسفة اليونانية، ان الجسد والنفس شيئان منفصلان احدهما عن الآخر، وان الجسد هو وعاء النفس، وانه سيقوم في اليوم الاخير. وكان هذا السؤال مطروحا في العهد القديم، وأشعيا النبي يقول: "تحيا موتاك وتقوم اشلاؤهم". ولكن السيد المسيح هو الذي حقق حلم شعب العهد القديم عندما ذهبت النسوة "صباح يوم الاحد، عند طلوع الشمس" الى القبر لبطييين جسد يسوع. وكُن يتساءلن قائلات: "من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر"، فسمعن الملاك يقول لهن: "لا ترتعبن! انتن تطلبين يسوع الناصري المصلوب. لقد قام ليس هو هنا. وهذا هو المكان الذي وضعوه فيه". وقد عبّر بولس الرسول عن حقيقة قيامتنا مع المسيح بقوله: "فاذا كنا اتحدنا به في موت يشبه موته، فكذلك نتحد به في قيامته".

يقول القديس يوحنا: "هكذا احب الله العالم حتى وهب ابنه الاوحد". اجل احب الله العالم فدخل ابنه الى هذا العالم ليرشد الى مواطن الفساد فيه، رغم ان سفر التكوين يقول: خلق الله العالم ووجده حسنا، وخلق الانسان وهو قمة الخلائق، فوجده ايضا حسنا. فالعالم اذن حسن، ولكن الانسان هو الذي يدخل عليه عناصر الفساد. ومصيرنا الابدي يتعلق بنا، فيما لا نزال في هذا العالم. فنحن من يختار من سنكون في الآخرة. ولا يمكننا ان نتجاوز الجسد كما لو انه لم يكن له اية اهمية. والمسيح عينه قد اتخذ هذا الجسد من مريم العذراء، وباركه ورأى الموت يتسلط عليه، ليمنحه لاحقا الحياة، عندما يقيمه من رقدة الموت. وهذا ما عبّر عنه بولس الرسول بقوله: "يُدفن الجسد ماتا فيقوم خالدا، يدفن بلا كرامة ويقوم بمجد، يدفن بضعف ويقوم بقوة. يدفن جسما بشريا ويقوم جسما روحانيا". وجسد المسيح بعد قيامته انما هو جسده في حال حياته، وان في شكل آخر. لقد اصبح جسدا روحانيا، على ما يقول بولس الرسول. واذا كان للجسد اهمية، فهذا لا يعني انه يجب الاهتمام به الى حد العبادة، على ما توحى به الحضارة المادية التي طغت في هذه الايام. وما كان الجسد يوما هو الهدف في الدنيا، بل الله هو الهدف. ولا يمكن اعارة الجسد من الاهتمام ما يصرف النظر عن شؤون اخرى حياتية. وبعد، ما العمل في حال المرض والموت وتفكك الجسد؟ ومن فقد جسده فلا يكون قد فقد كل شيء. والله في امكانه ان يعبر، من خلال الجسد القائم من الموت، ما تفعله النعمة في كل من يموت مع المسيح. فالنفس والجسد متلازمان غير منفصلين. وهذا ما عبر عنه دستور راعوي من المجمع الفاتيكاني الثاني بقوله: "الانسان واحد من نفس وجسد. وهو بوضعه الجسدي ذاته صورة مصغرة لعالم الاشياء التي تجد فيه ذروتها وتستطيع بحرية ان تسبح خالقها". وموت المسيح وقيامته دليل ساطع على ان الموت تعقبه حياة. وهذا ينبوع عزاء للمؤمنين.

ايها الاخوة والابناء الاعزاء، في غمرة القلق الذي يساورنا جميعاً، نتلقت الى الرب يسوع الذي عانى الألم الجسدي والنفسي ما لم يعاناه بشر. وقد عرف الجلد، واكليل الشوك، والامتهان، وهزء الجنود، وسخريتهم، ولكنه بعد ثلاثة ايام غير كاملة، نهض من رقدة الموت ودحرج الحجر وقام منتصراً. وهذا ما نرجوه لوطننا لبنان.

وان ما دفعنا الى المناداة بتطبيق الطائف رؤيتنا بلدنا يسير يوماً بعد يوم الى الهاوية. ولا حاجة الى تعداد مظاهر هذا التدهور، وأبرزها الضائقة المعيشية الناتجة من الازمة الاقتصادية، التي حملت العديد من الشبان على الهجرة، وهم الذين يعول الوطن على ما لهم من طاقات علمية وفكرية للعمل على انهاضه وازدهاره. وما من احد يجهل ان الوضع الاقتصادي مرتبط الى حد بعيد بالوضع السياسي.

وعندما نطالب باستعادة الاستقلال والسيادة والقرار، فلا نطلق كلاماً اجوف. انما نعني تأمين مصالح الشعب اللبناني باسره، اي حماية اليد العاملة، والانتاج الزراعي والصناعي، ووقف المضاربات غير المشروعة، واستباحة الحدود، ووضع حد للتدخل في شؤون الادارة، والتوظيف، ناهيك عن شؤون الحكم من تشريع وقضاء، والتزام مشاريع، وصفقات مشبوهة، بحيث يعرف المسؤولون انهم مسؤولون امام الشعب اللبناني وليس امام سواه من المراجع. وللشعب اللبناني وحده ان يحاسب المسؤولين ليؤيدهم او ليخذلهم، ويبعدهم عن مواطن المسؤولية، او يقرهم فيها. ولا غرابة اذا رأينا بعضاً من بينهم يستमित في الدفاع عن الوضع القائم، لأنه يدافع في الحقيقة عن مصالحه الشخصية على حساب المصلحة العامة، وليس عن المراجع التي هو مدين لها بما هو فيه. وكل هذا لن يتحقق دون استقلال وسيادة وقرار حر.

وانا قد اعلنا اكثر من مرة ان مصلحة لبنان تقضي بأن يكون على اوثق علاقة مع جارتها الاقرب اليه، وهي سوريا، شرط ان يقوم بين الدولتين تنسيق وانسجام والتزام الموائيق التزاماً صادقاً ومحبة خالصة، هي محبة الشقيق الذي يريد من الخير لشقيقه ما يريده لنفسه. ومن هذه الموائيق اتفاق الطائف الذي قال بوجوب اعادة تمركز الجيش السوري بعد مرور سنتين على توقيعها. ولم تكن من الاخوة في شيء المطالبة بتطبيق هذا البند ما دامت اسرائيل تحتل الجنوب اللبناني. اما وقد اجبرت هذه على الانسحاب، وان بقيت هناك بعض معوقات، كمزارع شبعا، أفلا يجوز التذكير بما نص عليه الطائف الذي لم يطبق حتى الآن الا انتقائياً؟ أفليس من الواجب اللفت الى الوضع الزري الذي وصل اليه لبنان، وهو وضع سينعكس حتماً على شقيقته سوريا؟ وأما التشنج الذي لا مبرر له ولا مكان بين البلدين فلن يحل المشكلة، وخصوصاً ان بينهما قضايا كثيرة مشتركة.

ونحن نؤمن بأن لبنان لا يمكنه ان يعيش بعيداً من هموم ابناء دول منطقته، ومن واجبه ان يتفاعل معها كما ان من واجبه ان يتفاعل معها، وهو اذ يفكر في مصير ابناء الجنوب وما يقاسون من عذاب يجب وضع حد له في اسرع وقت، لا يمكنه الا ان يتألم مع الشعب الفلسطيني الذي يشيع كل يوم اكثر من واحد من ابناؤه الذين يقعون ضحايا الظلم والعدوان، ويمنع ظلماً من اقامة دولة له بدون قيامها لا يبدو انه سيكون هناك سلام عادل شامل طويل الامد.

وان ما نحمله من هموم المنطقة، وهي هموم مشتركة، كقضية استعادة الجولان، يحفزنا على ان نتضامن خصوصاً مع سوريا، وأن نقف صفا واحداً واليد في اليد بعيداً من طائفية ومذهبية لنظهر لبنان بلداً موحداً؛ قادراً على النهوض ليأخذ دوره التقليدي في مجموعة الامم، وليس بلداً مشرذماً، غير قادر على تسيير اموره بذاته، وبالتالي غير قابل للحياة. وإنا اذ نهنتكم بهذا العيد، نسأل الرب يسوع الذي انتصر بموته وقيامته على الموت، ان يعيد عليكم، مقيمين ومغتربين، اعياداً عديدة، حافلة بأسباب الخير والطمأنينة والسلام